

الطائفة الإسماعيلية الأغاخانية نشأتها وعقائدها ونشاطها

الدكتور عبد الهادي الحكيم

نشرت مجلة (الإيضاح) وهي مجلة نصف سنوية تعنى بالحضارة الإسلامية والبحوث العلمية تصدر عن مركز الشيخ زايد الإسلامي -بشاور بالباكستان بعددها الثاني الصادر في ربيع الأول ١٤١٤هـ/١٩٩٣م بحثاً للدكتور أحمد جان تحت عنوان (الطائفة الإسماعيلية الأغاخانية: نشأتها وعقائدها ونشاطها)

وكان بودي وأنا أطالع البحث أن أقرأ بحثاً أكاديمياً علمياً ينحو منحى الموضوعية العلمية التي تفرضها أصول البحث الأكاديمي المنزه عن التسرع في إصدار الأحكام غير أنني وجدت للأسف غير ذلك.

ولئن كان المجال لا يسعني هنا للتعقيب على كل ما جاء في بحثه من آراء فأني أحبذ أن أقف وقفة قصيرة مع بعض ما أثاره تمهيداً من أمور.

يخلط الدكتور أحمد جان بين الشيعة الإمامية والروافض الغلاة خلطاً غريباً فالشيعة الإمامية عندهم الروافض الغلاة والروافض الغلاة هم الشيعة الإمامية. كما أنه يعتبر الباطنية والملاحدة من بين فرق الشيعة الإمامية^(١). ولو دقق الدكتور أكثر لوجد أن الروافض الغلاة غير الشيعة الإمامية ولو وجد أن أئمة أهل البيت (ع) هم أول من شدد النكير على الغلاة فيهم.

يقول المؤرخون والمحدثون سمع الإمام علي (ع) كلام الغلاة ذات يوم من رمضان (فتغير وجهه ورفض عرقاً وارتعد كالسعة تعظيماً لجلال الله عز وجل وخوفاً منه مغضباً^(٢)) ثم (استتابهم واستأنى وتوعدهم فأقاموا على قولهم فحضر لهم حضراً دخن عليهم فيها طمعاً في رجوعهم فأبوا فحرقهم وقال:

إني إذا رأيت شيئاً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً

فلم يبرح (ع) من مكانه حتى صاروا حمماً^(٣)، يقول القاضي النعمان (وهذا من مشهور الأخبار عنه (ع) وكان في أعصار الأئمة من ولده مثل ذلك ما يطول الخبر كالمغيرة بن سعيد لعنه الله وكان من أصحاب جعفر محمد بن علي (ع) ودعائه فاستنزل الشيطان فكفر.. وبلغ ذلك أبا جعفر محمد بن علي (ع) ولم يكن له سلطان كما كان لعلي فيقتلهم كما قتل علي (ع) الذين ألدوا فيه فلعن أبو جعفر المغيرة وأصحابه وتبرا منه ومن قوله ومن أصحابه وكتب إلى جماعة

أوليائه وشيعته وأمرهم برفضهم والبراءة إلى الله منهم ولعنه، ولعنهم فسماهم المغيرة (الرافضة) لرفضهم إياه وقبولهم ما قال المغيرة لعنه الله وكانت بينه وبين أصحابه مناظرة وخصومة واحتجاج يطول ذكرها..

ثم كان أبو الخطاب في عصر جعفر بن محمد (ع) من أجل دعائه فأصابه المغيرة، فبلغ أمره جعفر بن محمد (ع) فلم يقدر عليه بأكثر من أن لعنه وتبرأ منه وجمع أصحابه فعرفهم ذلك وكتب إلى البلدان بالبراءة منه واللعنة عليه، وكان ذلك أكثر ما أمكنه فيه وعظم ذلك على أبي عبد الله جعفر بن محمد (ع) واستفطعه واستهاله^(٤).

ويقول صاحب كتاب (الملل والنحل) مشيراً إلى رأي الإمام الصادق (ع) في الغلاة وقد تبرأ عما كان ينسب بعض الغلاة إليه وتبرأ عنهم ولعنهم ويرئى من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم^(٥).

وكيف لا يكون كذلك وهو (ع) كما يصفه الشهرستاني (ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة وزهد في الدنيا وورع تام عن الشهوات وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ويضفي على الموالين له أسرار العلوم.. ومن غرق في بحر المعرفة ولم يطمع في شط ومن تعالى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط وقيل من أنس بالله توحش عن الناس ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس)^(٦).

ولو أن الدكتور جان راجع بعض كتب الحديث والتاريخ عند الإمامية لوجد فيها من الروايات الواردة عن الأئمة (ع) في النكير على الغلاة الكثير.

من ذلك ما ورد عن ابن مسكان عن حدثه من أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) قال سمعته يقول: لعن الله المغيرة بن سعيد أنه كان يكذب على أبي فاذقه الله حر الحديد لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا)^(٧).

ويقول (ع) في الغلاة مخاطباً سدير (يا سدير سمعي وبصري ولحمي وبشري ودمي من هؤلاء براء، برئ الله منهم ورسوله ما هؤلاء على ديني ودين آبائي)^(٨).

وهناك الكثير من الروايات عنهم (ع) في البراءة من الغلاة وفرقهم كالسبابة والمغيرة والمنصورية والبنانية الخطابية وأشياهم والعلبانية والنصيرية جميع الغلاة لا يسع المجال لذكرهم هنا)^(٩).

ولو تأنى وراجع بعض كتب العقائد والفقه عند الشيعة الإمامية قديمها وحديثها لوجد فيها من الدلائل والبراهين ما لا يدع مجالاً للشك.

ولا يسعني المقام هنا لتعدادها كلها غير أني سأشير إلى بعضها فقط.

من ذلك ما في تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد (والغلاة من المتظاهرين بالإسلام.. وهم ضلال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين (ع) بالقتل والتحريق وقضت عليهم الأئمة (ع) بالكفر والخروج عن الإسلام)^(١٠).

ومنه ما ورد في كتاب جوهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي وهو من أوسع كتب الفقه

الإمامية ذكراً للغلاة قوله: (لا كلام في نجاستهم وكفرهم كما في جامع المقاصد وعن الدلائل بل عن الأخير والروض الإجماع عليه، قلت: وهو كذلك بل يدل عليه جميع ما دل على نجاسة الكافر^(١١))، ومثله ما ورد في شرائع الإسلام للمحقق الحلي^(١٢)، واللمعة الدمشقية للشهيد الأول وشرحها للشهيد الثاني^(١٣)، والعروة الوثقى لسماحة السيد اليزدي^(١٤)، ومنهاج الصالحين لسماحة السيد الحكيم^(١٥)، ومنهاج الصالحين لسماحة السيد الخوئي^(١٦)، قدست أسرارهم وكذلك ما في المسائل المنتخبة لسماحة السيد السيستاني حفظه الله^(١٧) وغيرها من الرسائل العملية وكتب الفقه الأخرى.

ولو أتعب الدكتور جان نفسه أكثر وراجع مؤلفات الإمامية لوجد أنهم صنّفوا كتباً لدحض افتراءات الغلاة أذكر منها عشرة كتب مسلسلة حسب تواريخ مؤلفيها كما أوردها صاحب كتاب روح التشيع^(١٨).

- ١ - كتاب الرد على الغلاة ليونس بن عبد الرحمن (ت ٢٠٨هـ)
- ٢ - الرد على الغلاة لعلي بن مهزيار (كان حياً سنة ٢٢٩هـ)
- ٣ - الرد على الغالية للفضل بن شاذان (ت ٢٦٠هـ)
- ٤ - الرد على الغلاة لمحمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠هـ)
- ٥ - كتاب الرد على الغالية للحسن بن علي بن فضال (ت ٢٢٤هـ)
- ٦ - الرد على الغلاة لسعد بن عبيد الله الأشعري القمي (ت ٣٠١هـ)
- ٧ - كتاب الرد على الغلاة لإسماعيل بن علي النوبختي (ت ٣١١هـ)
- ٨ - كتاب الرد على الغلاة لاسحاق بن الحسن بن بكر (ت ٤١١هـ)
- ٩ - الرد على الغلاة لأبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي (ت ٤٤٩هـ)
- ١٠ - الرد على الغلاة لمحمد بن الحسن بن حمزة الجعفري (ت ٤٦٣هـ).

وبعد هذا كله وغيره يطلع علينا الدكتور جان ببحث ينشر في مجلة ليقول لنا أن الإمامية هم الروافض الغلاة.

(إن الأنظمة الحاكمة التي كانت تخشى من معارضة الإمامية لسياستهم الجائرة ومعاملتهم الظالمة استغلت هذا الاسم (الرافضة) لما يحمل في طياته من قيمة نقدية تساعد على التنفير والابتعاد عن ينبذ فسحبت على الإمامية أيضاً تشويهاً لسمعتهم وتحريضاً لبقية المسلمين على محاربتهم بعد أن اختلقت سبباً آخر للتسمية وهو رفضهم لخلافة أبي بكر كما يزعمون. ونحن لا نستغرب أن تقوم الأنظمة المهزوزة بمثل هذا ولكن الغريب أن يتأثر بهم قليل من كتاب إخواننا أهل السنة فيعيدوا توقيع النغمة والضرب على الوتر والوتيرة وهم يعلمون أن للبحث حرمة وحدوداً تقتضيهم أن يكونوا موضوعيين ومنصفين ولا يرسلوا القول على عواهنه بتكفير الإمامية وهدم دمائهم تجريماً بعقيدة رفضها أئمتهم ورفضوها هم تبعاً لأئمتهم^(١٩)).

يتناول الدكتور جان في تمهيده مبتعداً أكثر فأكثر عن الموضوعية التي تقتضيها روحية الباحث وطبيعة عمله العلمية مكرراً نغمة أحمد أمين البائدة فيقول: (والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من

يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندوسية.. وتحت مظلة التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله^(٢٠).

وليس لي أن أعلق على ما قاله بأكثر من إعادة نشر ما قاله فكلامه لا يحتاج على تعليق، غير أنني أحب أن أذكره ناسياً كان أو متناسياً بأن الإسرائيليات دخلت للإسلام من باب كعب الأخبار اليهودي واضرابه وأن أبا هريرة كان من أبرز تلاميذ كعب الأخبار. يقول الشيخ محمود أبو رية:

(ما كان أبو هريرة يرجع على المدينة معزولاً عن ولايته بالبحرين حتى تلقفه الحبر الأكبر كعب اليهودي وأخذ يلقيه من إسرائيليته ويدس له من خرافاته وكان المسلمون يرجعون إليه فيما يجهلون ويخاصة بعد أن قال لقيس بن خرخشة هذه الأكذوبة (ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزلت على موسى ما يكون عليه ما يخرج منه). ومن أجل ذلك هرع أبو هريرة إليه ليأخذ منه ويتلمذ عليه وسال سيل روايتهما ولاسيما بعد أن خلا الجو لهما بموت عمر واختفاء درته)^(٢١).

كما أن أحاديث تجسيم الله وردت في صحيح البخاري ومسلم ومسنند أحمد وسنن الترمذي وابن ماجة وحلية الأولياء وغيرها من كتب أهل السنة، يقول الشيخ محمود أبو رية مشيراً إلى بعض روايات أبي هريرة في التجسيم وأخرجه البخاري ومسلم عنه: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحاجت الجنة فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضعفاء النفوس وسقطتهم قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمة أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء من عبادي ولكل واحد منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوي بعضهما إلى بعض^(٢٢).

وأخرج الشيخان عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً وزاد أحمد عن أبي هريرة في سبعة أذرع عرضاً.

وهذا الحديث هو نفس الفقرة السابعة والعشرين من الاصحاح الأول من سفر التكوين (العهد القديم) وإليك نصها: فخلق الله الإنسان على صورة الله، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم^(٢٣).

وورد في حلية الأولياء: (أن الله تعالى نظر إلى الأرض فقال إني واطئ على بعضك فاسعلت إليه الجبال وتضععت له الصخرة فسكرك لها ذلك ووضع عليها قدمه وأنا ديان الدين^(٢٤)).

وقد زادت بعض روايات البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأن ماجة تفاصيل عن جسده جل وعلا.

فطوله تبارك وتعالى ستون ذراعاً كما في صحيح البخاري ومسلم، وعرضه سبعة أربع كما في مسند أحمد، وأنه ذو يدين يمين ويسرى فيده اليمين ملأى بالاتفاق كما في صحيح البخاري ويده اليسرى تحمل الميزان كما في سنن ابن ماجة، وأن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله كما في سنن الترمذي وقد قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن (كشع الرحمن) كما في صحيح البخاري وأن له قدماً يضعها في النار فتقول النار قط قط كما في صحيح البخاري ومسلم،

وإن الله تعالى ليس بأعور كما في صحيح البخاري ومسلم، وأنه تعالى متربع على العرش كما في سنن أبي داود وابن ماجة، وأن العرش يثبط بالله كما يثبط الرجل بالركب كما في سنن أبي داود وابن ماجة، وأنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كما في صحيح البخاري ومسلم وأنه جل وعلا يضحك كما في صحيح البخاري ومسلم وهناك غيرها لا يسع لذكرها هنا ﴿فسبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ (الصفحات ١٨٠).

وسأترك للقارئ الكريم أن يشخص من أين دخلتنا الإسرائيليات وفي أي مصدر عقائدي أو فكري اندست أحاديث التجسيم.

﴿قل هذه سبيل أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف ١٠٨)

عصمنا الله من الزلل وجمع شمل هذه الأمة على الخير والحق والصواب والصالح وهداها صراطه المستقيم وجنبنا شرور الجهل وإثارة الأحقاد والضغائن إنه أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١. انظر الصفحات ١٦٧ و ١٦٨ و ١٧٠ و ١٩١ و ١٩٢ من البحث
٢. دعائم الإسلام للقاضي النعمان ٤٨/١
٣. شرح النهج لابن أبي الحديد ٣٠٩/٢
٤. دعائم الإسلام للقاضي النعمان ٤٨/١ - ٥٠
٥. الملل والنحل للشهرستاني ٢٧٢/١
٦. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ٢٧٩/١٨
٧. الشيعة في التاريخ لمحمد حسن الزين ص ١٨١
٨. انظر المصدر السابق ص ١٧٥ - ١٨١ وأصول الحديث للدكتور الفضلي ص ١٤٧ - ١٥٠
٩. تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد ص ٢٣٨
١٠. جوهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي ٤٥٩/٢
١١. شرائع الإسلام للمحقق الحلي ٥٠/١
١٢. اللعة المشقية وشرحها للشهيدين الأول والثاني ١٨٠/٣
١٣. العروة الوثقى للسيد البيهقي ٦٩/١
١٤. منهاج الصالحين للسيد الحكيم ١٥٠/١
١٥. منهاج الصالحين للسيد الخوئي ١١١/١
١٦. المسائل المنتخبة للسيد السيستاني ص ٨١
١٧. التشيع نشوؤه مراحل مقوماته للسيد عبد الله الغريفي ص ٤٠٩ نقلاً عن روح التشيع للشيخ عبد الله نعمة ص ١٠٠
١٨. أصول الحديث للدكتور الفضلي ص ١٠٠
١٩. البحث ص ١٨٠ من المجلة
٢٠. شيخ المضيرة أبو هريرة للسيد محمود أبو رية ص ٨٩ - ٩٠
٢١. المصدر السابق ص ٢٤٤
٢٢. حلية الأولياء لأبي نعمي أحمد بن عبد الله ١٢٠/٦ نقلاً عن كتاب بحوث في الملل والنحل للشيخ جعفر سيحاني ٨٤/١
٢٣. نقلاً عن كتاب تأملات في الصحيحين لمحمد صادق نجمي ص ١٨١ - ٢٠١. (البحث نشر في المجلة الإسلامية).
٢٤. للمزيد من الاطلاع على أحاديث التجسيم عند أهل السنة انظر: بحوث في الملل والنحل للشيخ جعفر السجاني ٧٧/١ - ١٠٤، وكتاب تأملات في الصحيحين لمحمد صادق نجمي ص ١٤١ - ٢١٢.